

أمتنا تستطيع إفساد مؤامرات أعدائها إذا توحدت

حوار مع الإمام البوطي

أكد العلامة السوري الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي أن استعادة العرب والمسلمين رباط الأخوة التي عقدها الله بينهم بدلاً من حالة التفرق والتخاصم والشقاق يعد الفريضة الغائبة، وأشار إلى أنه من الرافضين لفقهاء الأقليات لأنه يقسم الإسلام إلى إسلامات، وحذر من مزاعم ومخططات التنويريين الذين يعدون طابوراً خامساً ضد مصالح الأمة.

وهذا هو حوارنا الذي أجريناه معه خلال زيارته الأخيرة للقاهرة:

▪ بُخ صوتكم في ترديد النداء الدائم يا مسلمي العالم اتحدوا فهل مقومات هذا الاتحاد موجودة؟

ندائي الدائم للمسلمين بالوحدة لأنهم أغنى الناس بالثروات التي أودعها الله ذخراً في أوطانهم، وأقوى الناس بما يملكون من حوافز الوحدة والتضامن في ما بينهم، وأعز الناس بما أوتوا من القيم الإنسانية الراشدة ودعائم الحضارة المثلى والعقائد الإيمانية الصادقة، هذه المزايا الثلاث لو تم تفعيلها ترشحهم لمركز قيادة العالم.

▪ إذن ما معوقات هذه الوحدة المنشودة؟

معوقات تحقيق هذه الوحدة تتلخص في التخلي عن المزايا الثلاث السابقة، والركون إلى الشقاق بدلاً عن الوفاق، حتى نسي العالم أثر الإسلام العجيب في توحيد القبائل والشعوب المتعادية، ونسينا النداء واعتصموا بجبل الله جميعاً ولا تفرقوا وتحذيره الدائم ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ربحكم.

ويجب أن يعلم المسلمون أن مصالحهم كلها رهن باتحادهم وتضامنهم وليس من منطق القوميات، التي كانت ولا تزال السلاح الذي يستخدم لغرس الشقاق والتشردم، وما أحوجنا إلى الترجمة العملية لكلمة الفاروق عمر بن الخطاب نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فمهما طلبنا العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله، ولهذا أحذر من صانعي قرارات المكر السياسي في العالم الذين نجحوا في إخضاع القانون العالمي لسלטان أطماعهم بتأجيج نار الخصومات بين الجيران والأشقاء لامتنعاص خيراتهم، وشل أنشطة ذوي الاقتصادات المحدودة للإبقاء على احتكاراتهم وتحويل العالم إلى أسواق استهلاكية لشركاتهم.

تجميد الحوار

▪ الحديث عن الوحدة والتصدي للأعداء يقودنا للحديث عن العلاقة مع الآخر الديني عموماً، حيث كنتم من العلماء الموقعين على وثيقة تجميد الحوار بين الأزهر والفاتيكان وفي نفس الوقت لكم كتابات عن الديانات الإبراهيمية الشرق أوسطية الثلاث والعامل المشترك بينها مما يسهم في الحوار بينها فما تفسيركم لهذا الموقف الذي قد يبدو متناقضاً لدى عامة الناس؟

ليس هناك تناقض إذا علمنا أن سبب توقيعي مع أكثر من خمسين عالماً من مختلف الدول العربية والإسلامية بتجميد الحوار مع الفاتيكان لعدم جدوى الحوار معه في ظل تكرار الإساءات من بابا الفاتيكان للإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم، ورفضه الاعتذار عن المغالطات التي جاءت على لسانه، وفي نفس الوقت محاولة الفاتيكان التدخل في الشؤون الداخلية في الدول العربية التي بها مسيحيون، لهذا كان لابد من وقفة مع الفاتيكان.

أما بالنسبة للأديان الشرق أوسطية الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام ففيها غنى روحي وأخلاقي قوي وفاعل، ويمكن أن يقودها ذلك إلى تحقيق التفاهم والعمل المشترك للوصول إلى عالم تتحقق فيه العدالة وينعم بالسلام، لكن من المؤسف أن الواقع شيء آخر بسبب استخدام السياسة للدين من أجل السيطرة على الثروات والمصادر الاقتصادية وإشعال الحروب.

حرق الكنائس

▪ قد يقول قائل ولكن المسلمين حرقوا وهدموا بعض الكنائس فما ردكم؟

لا يوجد دين يحمي دور العبادة لمختلف الأديان أياً كان نوعها ويرفض العدوان عليها أو حتى الإساءة إليها قدر ما يفعل الإسلام، وقد حذر القرآن من أي مساس أو إساءة أو عدوان عليها فقال: **(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً)**، وتعاليم الإسلام تدين المتطرفين المسلمين الذين يخضعون كثيراً من المبادئ والأحكام الإسلامية لأمزجتهم وردود أفعالهم، ويتجاهلون حكم الله ووصاياه في تلك القضية، وقد سجل تاريخنا الإسلامي منذ عصر النبوة إلى آخر يوم من عمر الخلافة الإسلامية ومختلف العصور حماية الدولة الإسلامية لبيع اليهود وكنائس النصارى وأديرة الرهبان ورعايتها مع جوامع المسلمين ومساجدهم في حالتي السلم والحرب، ولهذا فإن الإسلام بريء من كل من يخالفون تعاليمه ويعتدون على دور عبادة غير المسلمين، حتى وإن ادعوا أنهم من أتباع الإسلام المخلصين، لأنهم في الحقيقة يضررون الإسلام ويخدمون أعداءه.

▪ كان لكم موقف متحفز لدرجة الرفض والمعارضة للإنترنت ثم حدث تحول في هذا الموقف فما أسباب الرفض أولاً ثم التحول ثانياً؟

سبب رفضي أولاً هو انطباعي الذي أؤمن به، وربما كنت مخطئاً في تعميمه، وهو أن كل المنجزات العلمية والحضارية مجتدة لأهداف لا إنسانية، ولخدمة الدول المتقدمة وضد مصالح الدول الفقيرة، بل إنها ضد الروحانيات والقيم والفضائل ولهذا سيتم تطويع شبكة الإنترنت، ثم تغير رأيي فيها بعد أن عرفت أن الإنترنت سلاح ذو حدين فكما يمكن استخدامه في تحقيق الأهداف الشريرة يمكن استخدامه كمئبر حر تذاق منه كلمة الحق وتقديم المعارف المفيدة، بل إنه أداة لاستمرار الصراع بين الحق والباطل، وواجبنا أن نحسن استخدامه لبيان الحق والدفاع عنه والتصدي لذوي الأغراض الشريرة.

▪ فماذا تقول للدعاة حتى يمكنهم استخدام الإنترنت للنهوض بالدعوة الإسلامية على مستوى العالم كله وليس في دولنا العربية والإسلامية فقط؟

الداعية ابن عسره وعليه أن يتفاعل مع الأدوات المفيدة في عصره، ولأن شبكة الإنترنت تكاد تبتلع العالم، وأصبح ساحة للجميع، فلهذا يمكن للدعاة أن يحولوه إلى منبر لإعلاء صوت الإسلام، والتعريف به والدعوة إليه والدفاع عنه وحل المشكلات المثارة حوله، وأنا الآن أستطيع أن أؤكد أن هذه الشبكة مرآة لواقع الصراع الموجود منذ أقدم العصور وحتى تقوم الساعة بين الخير والشر والحق والباطل، ولهذا أدعو الدعاة إلى التسليح بالعلم الديني والدنيوي المفيد وأن يكون لديهم إلمام بالوسائل التكنولوجية التي تفيدهم في أداء عملهم الدعوي، وقد لمست هذا في أنشطتي الدعوية الإسلامية التي لم تعد محصورة داخل جدران المساجد أو قاعات الجامعة والمؤتمرات.

▪ تصديتم بقوة لمن يزعمون أنهم يحملون لواء التنوير ، فما ردكم على أقوالهم؟

لا شك هناك العديد من الكلمات انتشرت في مجتمعاتنا العربية والإسلامية مثل الرجعية والتقدمية التنوير الظلاميين، ولهذا فإن واجب الدعاة والمفكرين الإسلاميين الغيورين على دينهم وأوطانهم أن ينفذوا دعاوى أدعياء التنوير وأقاويلهم، وبيّنوا خلفياتها الفكرية وأهدافهم الخبيثة، وأنهم أبناء الإرادة الاستعمارية التي رفعت شأنهم لأنهم يخدمون أهدافها ويساعدون في تنفيذ أغراضها، ومنها طمس أي هوية للأمة والمهجوم على الرموز الدينية.

الديمقراطية والإسلام

▪ تؤكدون أن الديمقراطية ليست شراً مطلقاً كما يقول البعض ولكنكم وضعتم لها ضوابط حتى تكون متوافقة مع ما يدعو إليه الإسلام فما تلك الضوابط؟

أن تعني الديمقراطية حرية الشعوب في اختيار قادتها وحرية الأفراد في التعبير عن أفكارهم ومعتقداتهم فهذا يعتبر مطلباً مهماً من مطالب الإسلام ودعامة راسخة في دعائم مجتمعه، بل إنه المناخ الذي يجب أن ينتشر فيه واجب الدعوة إلى الله والتبصير العلمي والمنطقي بالدين الحق الذي ألزم به عباده، وتاريخنا الإسلامي خير شاهد على ذلك، ولكن المصيبة التي تعرقل وصولنا إليها هناك قوى في الغرب تريد أن تجعلها نافذة لها تتسرب منها إلى قيمنا الحضارية ومصالحنا الذاتية لتفسد تلك القيم وتستلب المصالح وتحيل علاقات الأخوة بين فئاتها إلى حرب وشقاق.

▪ هناك موجة من الأعمال الفنية التي تركز على التدين الظاهري وتحاول التعميم للإساءة للملتزمين فما خطورة هذا الظاهرة؟

نحن بشر ولسنا ملائكة ومادنا بشراً فقد وصفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم "كل بني آدم خطاء"، ولا شك أن في مجتمع المتدينين والمتدينات من يخطئون، سواء أخطاء جسيمة أم صغيرة، لأن هذه سنة ربانية موجودة في المجتمعات والعصور كلها حتى في عصر الصحابة الذي هو أفضل العصور، ولكن المشكلة في التعميم وتضخيم الأخطاء وتشويه صورة الملتزمين، بل وتشجيع الشباب على المعاصي وتهوينها، ألسنا جميعاً بشراً وقعنا في أخطاء كثيرة؟ ولا يصح لأي عبد يتقي الله عز وجل أن يتتبع العورات ويتصيد الأخطاء ويهتك ستر الله لعباده المخطئين.

▪ تعجب البعض من ربطكم بين فقه الأقليات وخطة تجزئة الإسلام إلى إسلامات فما العلاقة بينهما؟

أرى أنه ليس مصادفة تلاقي الدعوة إلى فقه الأقليات مع الخطة الرامية إلى تجزئة الإسلام، حيث نجد أنه في الوقت الذي يخطط أئمة الغزو الفكري في العالم لتجزئة وتقسيم الإسلام العالمي الواحد إلى إسلامات إقليمية متعددة ومختلفة ومتصارعة تتعالى الدعوات لإيجاد ما يسمونه بفقه الأقليات وهو أشبه بتفصيل كسوة إسلامية مناسبة للإسلام المتنامي اليوم في الغرب دون الإسلام الآخر المنتشر في الأوطان الإسلامية عامة.



مبررات المطالبين

- ولكن المطالبين بفقهاء الأقليات لهم مبرراتهم مثل قاعدة المصالح، والضرورات التي تبيح المحظورات، وأن المشقة تجلب التيسير، أليست هذه أسباب كافية؟

هذه المستندات أو المبررات ليست خاصة للمسلمين المقيمين في أوروبا وأمريكا فقط، بل إنها مستندات لفقهاء إسلامي عالمي لا وطن له ولم تكن يوماً ما مستندات لما يسمى بفقهاء الأقليات دون غيره، فحيثما وجدت الضرورة بمعناها الشرعي المعروف ارتفع الحظر المسبب لها وكذلك أينما وجدت المشقة التي تتجاوز الحد المعتاد تثبت الرخصة الشرعية المتكفلة برفعها، وحيثما تعارضت المصلحتان في سلم المقاصد الشرعية قدمت الأولى منهما، ولم نجد في قرآن ولا سنة ولا في كلام أحد من أئمة الشريعة الإسلامية أن هذه المستندات خاصة بحال الأقليات التي تقيم في ديار الكفر، فلا يجوز لغيرهم من المسلمين في العالم الإسلامي الأخذ بها والاستناد إليها، وأي إسلام هذا الذي يقرر أن مجرد وجود المسلم في دار الكفر يعد ضرورة تبرر تشريع فقهاء إسلامي خاص به ينسجم مع ما يحيط به من تيارات الكفر والفسوق والعصيان، ولماذا شرع الله الهجرة وأمر بها من دار الكفر إن لم يتح للمسلم تطبيق أحكام الإسلام فيها إلى دار الإسلام، وفي ظل الدعوة الملحة لفقهاء الأقليات نعلم أننا مهددون بنقيض ما كنا نستبشر به من انتشار الإسلام وتأثيره في الغرب، من خلال ذوبان الوجود الإسلامي في تيار الحضارة الغربية الجائحة بضمانة من هذا الفقه.

- فما الحل في التعامل مع مشكلات أبناء الأقليات؟

لنا في المجامع الفقهية الكثيرة في عالمنا العربي والإسلامي ما يغني عن ابتداع مرجعيات خاصة متخصصة بهذا الفقه الإسلامي الجديد الذي لا عهد للشريعة الإسلامية به.

- في النهاية كيف ترى مستقبل الأمة في كلمات قصيرة؟

رغم الواقع الأليم أننا متفائل.

المصدر: ملحق الصائم في مجلة الخليج.